دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

"متى صلَّيتم فقولوا:
أبانا الذي في السموات"

الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

”متى صلّيتم فقولوا:
أبانا الذي في السموات“

الأب متى المسكين

"متى صلّيتم فقولوا:
أبانا الذي في السموات"

(لو ١١: ٢-٤)

"متى صلّيتم (متى أردتم أن تصلُّوا)":

الصلاة إرادة أولاً وقبل كل شيء، كما حينما تجوع تريد في الحال أن تأكل، هكذا الصلاة جوع روحي إذا اشتدَّ على الإنسان أراد في الحال أن يصلِّي.

ما معنى هذا؟ معناه أن الصلاة حاجة مُلحَّة على الإنسان، لا يرتاح حتى يكملها. وهذا معناه أيضاً أننا إذا كنا نصلِّي بدون إرادة الجوع الحقيقي بالروح لله تكون صلاة كاذبة كالأكل لإنسان ليس جوعاناً، كما يقولون إن الأكل للشبعان - أي للذي ليس جوعاناً - خسارة. فالصلاة خسارة لمن لا يكون جوعاناً وعطشاناً بالروح لله وللرب يسوع.

ومن أين يأتي الجوع الروحي والعطش الروحي؟

قال أيوب الصدِّيق: «في الجوع يفديك من الموت...» (أي ٥: ٢٠)، فكما أن في الجوع الجسدي يتعرَّض الإنسان للموت ويموت فعلاً إذا اشتد عليه الجوع، كذلك يرى أيوب أن في الجوع الروحي

يتقدَّم الله ويفديك بنفسه. هنا الجوع الروحي هو الحاجة الشديدة لله وقت الضيق. فالخلاص من الجوع الروحي فداءٌ، حيث الإحساس بالفداء يكون كالإحساس بالشبع، وراحة النفس وفرح الجسد؛ هكذا يكون فرح الروح بالصلاة شبع، أعظم شبع: «طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يُشبعون» (مت ٥: ٦). وللعطشان بالروح يقول الرب: «لأني أسكب ماءً على العطشان» (إش ٤٤: ٣)، والمسيح يُنادي مَن عَطِشَ إليه «عطشت إليك نفسي...» (مز ٦٣: ١): «إن عطش أحد فليُقْبِل إليَّ ويشرب» (يو ٧: ٣٧). هذا هو الجوع والعطش الحقيقي إلى الله في مضمون الصلاة ومضمون: "إن أردتم أن تصلُّوا"، فهي إرادة ناشئة من جوع وعطش حقيقيَّيْن.

"فقولوا (هكذا)":

كلمات صلاة "أبانا الذي" هي قول من فم الرب، قول مملوء قوةً وسلطاناً، قول له فاعلية. فهو ليس مجرد كلام، ولكن حينما تصلِّي بـ "أبانا الذي" فأنت تنطق بنطق الله، وكلماته تصير في فمك قاطعة كحدِّ السيف.

"قولوا (هكذا)":

أمر إلهي، وأمر الله له قوة وفاعلية وسلطان، تجعل الذي يُصلِّي بـ "أبانا الذي" يُنفِّذ أمراً إلهياً له في حدِّ ذاته قوة الله. كلماتك تخرج من فمك كسهام تُبدِّد الظلمة وتُضيء لك بنور الله، وعليك أن تقول صلاة "أبانا الذي" بفم إنسان يطيع أمر الله وينطق بكلماته كأمر بسلطان الله.

وقول المسيح لتلاميذه: "قولوا هكذا"، يُحدِّد كلمات الصلاة، فلا تخرج عنها بحرفٍ واحد لأن الكلام كلام الله، وكلام الله فعَّال إذا نُطق به صحيحاً.

"أبانا الذي":

تأتي بالجمع المنادَى: "أبانا"، لأن الآب السماوي هو أبونا كلنا.

من أين أتى قولنا لله: "أبانا"؟ هو أبونا لأنه أبو ربنا وإلهنا يسوع المسيح، لأن بالعذراء تجسَّد المسيح من الروح القدس، إذ قيل لها في الحال: «فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يُدعى **ابن الله**» (لو ١: ٣٥). فالله أبوه بالميلاد من الروح القدس، هذه هي روعة التجسُّد: الله أخذ صورة الإنسان مولوداً من امرأة قديسة، مريم العذراء؛ فصار أباً لكل مَن يؤمن بأن الله صار جسداً.

من أين صرنا نحن أبناء الله حتى ندعو الله: "أبانا"؟

هذه هي روعة التجسُّد، فبأخذ المسيح ابن الله جسداً بشرياً، صرنا نحن الذين نؤمن بالمسيح شركاء المسيح المتجسِّد بجسدنا. أما اتحادنا بالمسيح فقد صار بسبب موت المسيح جسدياً، فهكذا مُتنا نحن بموت المسيح على الصليب، ودُفنا معه في القبر ثلاثة أيام، وقمنا بقيامة المسيح الإله المتجسِّد. فبإيماننا بموت المسيح عنا وفينا مُتنا معه ودُفنا معه، وهكذا قمنا بقيامته، وهكذا صارت شركتنا في المسيح شركة متحدة بفعل الموت الواحد والدفن الواحد والقيامة الواحدة. وبموتنا بموت المسيح صار لنا سلطانٌ أن نأكل جسده المقدس على المائدة المقدسة، وبقيامتنا مع المسيح القائم حيًّا صار لنا سلطانٌ أن نشرب من دم

المسيح لأن دم المسيح فيه الحياة الأبدية!

+ «أنا هو خبز الحياة... هذا هو الخبز النازل من السماء، لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت. أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم.» (يو ٦: ٤٨-٥١)

هكذا أعطانا المسيح الخبز على المائدة الروحية في الكنيسة باعتباره جسداً بعد أن يُقدِّسه بنفسه على المذبح. لذلك يقول المسيح: «إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم.» (يو ٦: ٥٣)

ثم عاد المسيح يُعرِّف معنى الأكل لئلا يُظن أنه أكل جسدي لمصلحة الجسد، فيقول: «جسدي مأكلٌ حقٌّ (أي روحي إلهي)، ودمي مشربٌ حقٌّ» (يو ٦: ٥٥)، «مَن يأكل جسدي ويشرب دمي، يثبت فيَّ وأنا فيه.» (يو ٦: ٥٦)

فالمسيح أكلٌ وشُربٌ، فكما نزل الخبز من السماء، وكذلك الماء الحي، فنحن نجوع حقًّا ونعطش إليه: «عطشت إليك نفسي...» (مز ٦٣: ١). هكذا الحب الإلهي جوعٌ حقٌّ وعطشٌ حقٌّ، والمُحِب يُصرِّح من أعماق روحه: اسْقِني من حبك وارْوِني من نهر نعمتك وإلا أموت.

فالحياة الأبدية شُرب حقيقي من الماء الحي، والحياة مع المسيح كلها

ارتواء. نعم، فالحياة الروحية الصحيحة جوع وشبع وعطش وارتواء في مقابل الجسد والدم! هذا هو الاتحاد والشركة الأبدية مع المسيح التي تؤهِّلنا للموت معه والقيامة معه والجلوس معه في السموات. هذا هو الذي يجمع أولاد الله - الذين يشتركون في أكل جسده وشرب دمه - إلى واحد، والذي يؤهِّلنا أن ندعو الله - كما يدعوه المسيح نفسه - قائلين: "أبانا".

لأن هذا هو معنى التجسُّد الرهيب: إننا وُلدنا يوم وُلِدَ المسيح، واعتمدنا كلنا يوم تعمَّد من المعمدان على النهر، ومتنا بموته على الصليب، وقمنا بقيامته لنصير واحداً فيه. هو إلهنا، وأبوه هو أبونا السماوي.

فقولنا: "أبانا الذي في السموات"، معناه أننا صرنا في شركة الحب واحداً مع المسيح، وصار الله لنا أباً سماوياً واحداً، كما قال المسيح: «لا تَدْعُوا لكم أباً على الأرض، لأن أباكم واحد الذي في السموات» (مت ٢٣: ٩). وهكذا وحدة الأبناء بالروح أدخلتنا في أُبوَّة الآب السماوي.

و"أبانا" تأتي بالمنادَى، أي نحن ننادي الآب السماوي الواحد ليسمع الصلاة التي نُطقت من فم المسيح. هنا نعثر على صلة سرِّية بديعة تربط الابن بالآب. فالمسيح هو الذي يُعلِّمنا ماذا نقول لأبيه في صيغة المنادى تعبيراً عن شدة الصلة بين الابن والآب. إن الابن يُعطي الذين له - أي المؤمنين باسمه - السلطان والصلاحية أن يُنادوا أباه السماوي معتبرينه "أبانا" نحن أيضاً.

وأن ينادي الابن أباه، معناه أن الصلة التي أصبحت تربطنا بالآب السماوي هي رباط الحب الهائل، لأنه لا يمكن للابن أن يُنادي أباه، وأبوه يسمع له بدالة يسوع المسيح، إلاَّ إذا كنَّا حقًّا بنينَ. و"بنينَ حقاً" تعني أننا قد صرنا محسوبين أننا من أهل بيت الله حقاً. وهكذا مناداتنا لله بالقول: "أبانا الذي في السموات"، أعطت الختم على قلب البنين أنهم سماويون كأبيهم على نمط قول الله: «كونوا قديسين لأني أنا قدوس.» (١بط ١: ١٦)

"الذي في السموات":

لأول مرة في تاريخ الإنسان يُنادي الإنسان وهو على الأرض الله كأب في السماء. من أجل هذا يصرخ الشاروبيم في نبوة إشعياء أنَّ: «مجده ملء كل الأرض» (إش ٦: ٣). لقد صرنا ونحن بشر على الأرض داخل دائرة المجد الإلهي، وأُعطيت لنا الصلاحية والسلطان أن ننادي الله في السماء كأب. لقد زالت الفوارق التي بين الجسد والروح لَمَّا أُعطي للروح أن تصرخ لتُنادي الله في السماء قائلة: "أبانا"، لأن ابن الله الوحيد صار كواحدٍ منا. لم ترتفع الأرض إلى السماء، بل السماء هي التي تطأطأت ونزل ابن العليّ ليأخذ صورة إنسان. فكما صار هو صورة منَّا والأرض موطئاً لقدميه؛ صرنا نحن في صورة الابن نرنو إلى السماء، وننادي الآب كما يُنادي الابن أباه بدالة الحب ورباط اللاهوتية؛ لأنه كما ارتبط الابن بالناسوتية، ارتبطنا نحن برباط اللاهوتية، وإلاَّ ما استطعنا أن نُنادي الله في السماء بأبينا.

ونحن حينما نحقق قول المسيح ونقول: "أبانا الذي في السموات"،

فهذا يشير إلى الرباط الذي ربطنا بالسماء، لأنه إن كان أبونا في السماء، فحتماً يكون البنون أيضاً. والمسيح بذلك يشير إلى وطننا الآتي، فنحن هنا غرباء نطلب وطناً أفضل أي سماوياً، فلا نكره غُربتنا لأن الغربة إن كانت ناظرة إلى فوق فهي حتماً ذاهبة إلى هناك. ونحن حينما ننادي: "أبانا الذي في السموات"، فنحن نُقرِّب المسافة الشاسعة التي تفصل الأرض عن السماء. لهذا نزل المسيح من السماء من عند الآب لكي يأخذنا في قيامته إلى أعلى السموات، إلى كل الملء.

فنحن لا نشبع من النظر إلى فوق، إلى أبينا الذي في السموات، حتى نؤخذ إلى هناك ونصير مع الآب في شركة المسيح.

يا أحبائي، لا تهدأوا من المناداة للآب الذي في السموات، لأنه يسمعنا ويُنادينا: "يا أبنائي المتغربين أنا أعددتُ حضني لكم لترضعوا من ثدي السماء وتشبعوا بملء العزاء".

"ليتقدَّس اسمك":

نعم، فاسمه قدوس ويتقدس من كل فم. فالسماويون لا يفتأون من تقديس اسم الله، والشاروبيم يصرخون ويُصوِّتون هذا قبالة الآخر: "قدوس قدوس قدوس"، وهي التسبحة الشاروبيمية التي نردِّدها داخل القداس لكي يصير تسبيحنا نحن أيضاً قداساً. لهذا أمرنا الله أمراً أن نكون قديسين كما هو قدوس، بمعنى تقديس الله في قلوبنا وعقولنا وأفواهنا. فتقديس اسم الله قادر أن يُقدِّس حياتنا.

أعرف سيدة حباها الله بمرض الشلل، فكانت لا تتكلَّم ولا تنطق

إلاَّ باسم: "قدوس قدوس قدوس". فظلَّت تسبِّح بـ "قدوس قدوس قدوس" الليل والنهار، إلاَّ أوقات النوم والأكل. لم يكلَّ فمها ولم تملّ أبداً من النداء صباحاً وظهراً ومساءً ونصف الليل: "قدوس قدوس قدوس" سبع سنوات، ثم انتقلت.

انظروا هذه السيدة، لم تتململ ولم تتضجَّر أبداً، ولم يخرج من فمها إلاَّ "قدوس قدوس قدوس". وهكذا أخذت مهنة الشاروبيم وهي في آلام أشد الآلام، كان هذا حباً في الآب السماوي، وشكراً ورضىً وتهليلاً.

فالمسيح يُطالبنا بأن نُقدِّس اسم الله، أي نحاكي الشاروبيم في السماء؛ وهكذا نجعل أرضنا سماءً، ونحقق قول إشعياء النبي الذي رآه في الرؤيا أي صراخ الشاروبيم أن مجد الرب ملء كل الأرض!!!

لا تستهينوا، يا إخوة، بتقديس اسم الله، فهذه صنعة القديسين في السماء. ولن نتعلَّم هناك إلاَّ تقديس اسم الله بلا توان. فالذي يُقدس اسم الله متواتراً، فهو يحقق صنعة الشاروبيم وكل القدِّيسين، ويسبق ويُعدّ نفسه لصنعة السماويين.

انظروا كم أعطانا المسيح سرَّ السماويين والقُرْبَى من الآب السماوي عن حقٍّ واستحقاق؛ لأن الإنسان من تقديس اسم الله في قلبه بالروح والفم متواتراً، يقترب من صاحب القدوس والقدوسية وتنطبع على وجهه صورة القدوس.

علماً بأننا نحمل اسم الله القدوس لأننا دُعينا أبناءً له. هذا شيء

مهول جداً ترتعب منه الملائكة ويتزلزل الشيطان تحت أرجلنا، لأننا أبناء القدوس والحاملون لاسم الله القدوس. فما بالك إذا كنا أيضاً نلهج باسم الله القدوس، فنحمل القدوسية بين أضلاعنا ونتنفّس بها بروحنا فنصير كتلة من نور الله السماوي؛ لأن القدوسية نورٌ هي، وسماء لا يطيقها العدو، ويرتعب منها كل معاند وشرير. فالقدوسية أمْضَى أسلحة السماء، حارب بها الملاك ميخائيل الشيطان، فغلبه وأسقطه من السماء إلى الأرض. كل السمائيين يحملون القدوسية لأنهم يخدمون اسم الله القدوس، وقد وهبهم الله هذه الطبيعة السماوية للقيام بالخدمة أمام الله وإنجاز أعمال خاصة يقومون بها لخدمة العتيدين أن يرثوا الخلاص.

والله لم يحرم البشرية من هذه الهبة إزاء التواضع واحتمال المشقات والتجارب العديدة التي يسوقها العدو، وليس تلك التي يجلبونها على أنفسهم بالتذمُّر ورفض احتمال ما يضعه الله عليهم من الآلام.

"ليأتِ ملكوتك":

ملكوت الله هو مُلْكه الفائق القداسة الذي تطيعه فيه جميع خلائقه السماوية، وهو محجوز عن أعين وآذان البشر بسبب ضعف الجسد وعدم اكتمال القداسة. فمُلْكه يشمل السمائيين والأرضيين، والكل خاضع له بعُنق العبودية عن حب وفرح وتهليل. ولكن مُلْكه السماوي كامل متكامل في المجد والقداسة والطاعة وخدمة التسبيح والعبادة بالروح؛ أما مُلْكه على الأرض فينمو ويتكامل حتى يبلغ غاية الله من خلقته.

ونحن نؤمَر من المسيح أن نطلب الملكوت الكامل: "ليأتِ ملكوتك"، حتى يتخلَّص الإنسان من شقائه وينتهي العدو من تجاربه ويأخذ عقابه الأخير. فاستعلان ملكوت الله للإنسان مرتبط باستعلان إسقاط مُلْك الشيطان وعقابه المريع هو والنبي الكذَّاب في بحيرة النار التي لا تُطفأ. واستعلان ملكوت الله يرافقه دخول الإنسان في الخلاص الكلِّي والسعادة الأبدية، حيث لا تجارب ولا أحزان ولا مشقات ولا تعب ولا تنهُّد؛ بل تهليل وأفراح الروح الأبديَّيْن ومشاركة القديسين في ملكوت الله السماوي، حيث يُباشر الله مُلْكه السعيد بالكمال الفائق عن الوصف.

وطِلْبتنا: "ليأتِ ملكوتك" ليست باطلاً ولا مجرد كلمات نقولها، ولكنها إحدى المهام الإلهية الموضوعة علينا لتكميل عمل رحمة الله؛ حين تبلغ آذان الله، فتزداد تعطُّفاته الأبوية، ويُقصِّر الأيام الشريرة، ويُعطي راحة لأولاده المعذبين على الأرض، على أساس قانون الله: «اطلبوا تجدوا» (مت ٧: ٧). فهو سامع الصلاة وإليه يأتي كل بشر، وتدخل إلى حضرته توسُّلات قديسيه وتشفُّعات الموكَّلين علينا من السمائيين.

وكلمة "ليأتِ ملكوتك" مرادفة تماماً لاستعلان انتهاء أزمنة الخلاص للدخول في أزمنة السماء المملوءة مجداً وسعادة. فنحن حينما نطلب ونسعى لخلاص أنفسنا نُقرِّب استعلان ملكوته، أي أن أعمال الإنسان من صلاة وعبادة بالروح تدخل كعمل مباشر لطِلْبة: "ليأتِ ملكوتك". فالإنسان أُعطِيَ أن يتجاوب مع أعمال مُلْك الله، لأن

صلاة الإنسان مسموعة لدى الله، وطلباته مستجابة بالروح لخيره. وواضح من تاريخنا المقدس أنه كم من صلوات القديسين وتشفعاتهم منعت كوارث عن الأشرار وعجّلت بالرحمة في زمانها. فالقديسون من البشر لهم عمل مؤثّـر في إتيان رحمة الله على إخوتهم في الجهاد. وهكذا يظهر أن الإنسان مسئول أيضاً عن إتيان ملكوت الله، لذلك وضعها المسيح كأساس في صلاة "أبانا الذي".

وهذا من واقع حب الله للإنسان، الذي بسببه يقف المسيح نفسه بجروحه وصليبه أمام الله، فيشفع فينا شفاعة إلهية مُستجابة.

و"ليأتِ ملكوتك" تشمل حتماً استعلان مجد المسيح ملك القديسين، حيث يستعلن معه أعمال البشر المفديين التي ستكون صورة مُبدعة لملكوت الله، وتظهر كأعمدة منيرة تردُّ على كل مطالب نواميس الله، وكاستجابة منظورة لمطالب الإنجيل، وسوف تُسمع تسابيح القديسين في ملكوت الله تتردَّد إلى الأبد كخدمة الشاروبيم والسيرافيم. فالإنسان الحاصل على قداسة الله سيكون مركزه في صدارة الملكوت أمام الله قبل كل القوات السمائية.

وهذا الاستعلان سبق أن رآه بولس الرسول وسجّله في رسالته إلى أهل أفسس:

+ «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويّات في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم قدّامه في المحبة، إذ سبق فعيّننا للتبنّي بيسوع المسيح لنفسه، حسب مسرة مشيئته، لمدح مجد

نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب.» (أف ١: ٣-٦)

فمركزنا في ملكوت الله عند استعلانه، هو أمام الله مباشرة، لأننا سنكون متحدين بالابن قبل أي خليقة أخرى، وعملنا سيكون مدحِ أعمال الله التي عملها في المسيح لأجلنا، حيث يظهر الإنسان متوَّجا بإكليل مجد المسيح المسجود له إلى أبد الآبدين.

"لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض":

"كما في السماء كذلك على الأرض":

ملكوت الله السماوي روحيٌّ هو، وملكوت الله على الأرض جسديٌّ هو، مُعانٌ ومؤازَر بالروح القدس وجميع أرواح الملائكة الأخيار القديسين المخلوقين لخدمة العتيدين أن يرثوا الخلاص: «أليس جميعهم أرواحاً خادمة مُرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص.» (عب ١: ١٤)

فالعلاقة موجودة بين السمائيين والأرضيين، ولكن من طرف واحد. فنحن ظاهرون للملائكة الأعوان الروحية السمائية، ولكن لا نرى هذه الخلائق السمائية ولا نعرف عنها إلاَّ القليل جداً. ولكن الذي بلغ معرفتنا هم الشاروبيم والسيرافيم ورؤساء الملائكة والملائكة والجند السماوي، مرتَّبين صفوفاً صفوفاً بأعدادٍ مهولة لا يمكن حصرها بالعقل البشري، ولكن بعض القديسين كُشِفَ لهم عنهم فصاروا في ذهول من كثرة العدد. وقد ظهر جند السماء بأعدادهم الهائلة لأليشع النبي وخادمه الذي كان خائفاً من جنود السوريين (الأراميين) (انظر ٢مل ٦: ١٧). ونسمع أن جبرائيل الملاك هو

الواقف أمام الله، وهو الذي بشَّر العذراء القديسة مريم بميلاد الرب: «وفي الشهر السادس أُرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف. واسم العذراء مريم» (لو ١: ٢٦و٢٧). والملاك ميخائيل عظيم الملائكة ورئيسها القائم على بني إسرائيل (انظر دا ١٢: ١)، هو الذي حارب العدو الذي وقف ضده، وقد ذُكِرَ أيضاً أنه رئيس إسرائيل (انظر دا ١٠: ٢١؛ ١١: ١)، وذكر الكتاب أيضاً معونة دانيال النبي على يد أحد الملائكة (انظر دا ١٠: ١٣)، والذي فيه يُذكَر - كالمكتوب - أن الملاك ميخائيل هو واحد من الرؤساء الأولين، وأنه يشهد مع ملاك دانيال على محاربة رئيس فارس (الشيطان): «ولكني أُخبرك بالمرسوم في كتاب الحق، ولا أحد يتمسَّك معي على هؤلاء إلاَّ ميخائيل رئيسكم.» (دا ١٠: ٢١)

كما حارب الملاكُ ميخائيل العظيم الشيطانَ مُحاجاً من جهة جسد موسى، لأن الشيطان كان مزمعاً أن يكشف لإسرائيل موضع جسد موسى حتى يرتدوا عن الله ويعبدوا موسى. ولما لم يجد حجة ضده قال له: "لينتهرك الرب أيها الشيطان"، فغلبه (يهوذا: ٩).

فالعلاقة بين الملائكة وبيننا وطيدة، ولكنهم يتدرَّجون في درجات حسب الهبات التي يعطيها الله لهم. وكثيرٌ من الملائكة ظهروا ولكن لم تُعرف أسماؤهم. ويُقال في الإنجيل في سفر الرؤيا إن ميخائيل رئيس الملائكة حارب إبليس في السماء وأسقطه من رتبته في السماء وطرحه إلى الأرض (رؤ ١٢: ٧-٩). ومعروف أيضاً أن الله لما خلق الأمم

وقسَّمها، جعل ميخائيل رئيساً على إسرائيل. وهكذا يبدو أن كل أمة تتبع الله محفوظة ومُعانة بملاك خاص؛ بل ويقول التقليد الكنسي إن كل مدينة يحرسها ملاكان، فنسمع في مصر أن هناك كنيسة الملاك البحري (أي منطقة بحري القاهرة) وكنيسة الملاك القبلي (أي منطقة قبلي القاهرة). ولكن على العموم أخبار الملائكة قليلة، وقليلٌ جداً مَن رآهم. وملكوت الله في السماء يموج بالملائكة وأنواعها وتسابيحها.

"لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض":

هكذا يطلب المسيح أن تتم مشيئة الله التي هي تحقيق ملكوته على الأرض كما هو في السماء، سواء في الروحانية أو القداسة أو التسبيح الدائم وخدمة الملائكة للمعيَّنين ليرثوا الخلاص المُعدّ. ويأخذ الله رئاسته على مُلْكه في السماء وعلى الأرض سواء بسواء. وأما تأخُّر ظهور المسيح على الأرض في مجيئه الثاني فسببه العثرات في الكنيسة وتراخي الشعب: «ولكن متى جاء ابن الإنسان، ألعلَّه يجد الإيمان على الأرض.» (لو ١٨: ٨)

وهكذا يتنبَّأ المسيح عن ضياع الإيمان في أواخر الأيام التي نعيشها، وهذا ما نراه بأعيننا ونسمعه بآذاننا. فالعالم يتبع الشيطان في كل مكان، وقليلٌ مَن يطلب أن يأتي ملكوت الله، وتتم مشيئته كما في السماء كذلك على الأرض، والملائكة واقفون حزانى على حال الإنسان المخلوق على صورة الله وشبهه.

"خبزنا كفافنا أعْطِنا اليوم":

يعود المسيح ويضع أصبعه على الداء والمرض الذي سيلمُّ بالعالم

ويُعطِّل إتيان ملكوت الله، وهو الجري وراء المال وتخزين الكنوز، بينما الحاجة إلى واحد أي إلى الرب الذي يُقيت ويُحيي. فالمسيح يُنبِّه أذهاننا أن يكون خبزنا اليومي هو كفافنا بمعنى عدم السعي وراء الزيادة والكثرة والإسراف. فكلمة "الكفاف" هي الدواء الذي يحتاجه العالم وكل إنسان، لأن تخزين المال هو تعدٍّ على تدبير الله، بمعنى الغِنَى وتخزين المال والطعام والذهب والماس.

و"خبزنا كفافنا"، وإن كانت تنصبُّ على الخبز والأكل والأعواز البشرية، فهي ترمي إلى الانتباه إلى الحاجة إلى الصلاة والعبادة بالروح. فالعالم اغتنى جداً بالمال وافتقر جداً بالتالي بالروح. فـ "خبزنا كفافنا" يُقابلها: انتبهوا إلى حاجتكم الماسة إلى الروح وغِنَى الروح، لأن السعي الجاد بالروح كفيل أن يجعل الله يسدُّ كل أعوازنا وحاجتنا إلى المال والخبز.

و"خبزنا كفافنا" ترمي إلى بعيد، حيث تصيب الصوم وعدم الشبع وعدم الملء من المأكولات الشهية لملء البطن بينما الفقير أمامنا جائع إلى لقمة العيش. كذلك "خبزنا كفافنا" ترمي إلى التصرُّف العاقل في الفائض، فالاثنا عشر قفة ينتظرها آلاف الجوعى. فإن انتبه العالم لهذه الوصية الثمينة: "خبزنا كفافنا"، لفاضت ملايين القفف والدولارات التي تكفي حاجة الفقير الذي يتضوَّر جوعاً، والذين يموتون من الجوع والعطش من شعوب أفريقيا الوسطى الذين أصبحوا أمواتاً قبل أن يأتيهم الموت من جراء الفقر المدقع والحاجة إلى خبزة وكوب ماء، وأمريكا وأوروبا تستهلك حصَّة العالم في إسرافها وإتلافها. فـ "خبزنا

كفافنا" هي حاجة كل العالم اليوم وكل بيت وكل شخص، وإلاَّ سيفنى العالم يوماً من الإسراف والثراء.

"واغفر لنا ذنوبنا":

ينتقل المسيح إلى نتيجة الخروج والتعدِّي على وصية الكفاف إلى الجري وراء المزيد الذي يهدف إلى السعي وراء المال والإثراء، حيث حب المال هو أصل لكل الشرور، كما يقول بولس الرسول: «الذي إذ ابتغاه قوم ضلُّوا عن الإيمان، وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة» (١تي ٦: ١٠)، وهي تعني: الذنوب والآثام والخطايا الناتجة من حب المال وهي كثيرة. فالسرقة والتزوير والاختلاس والغش والتمادي في زيادة الأسعار، والمضاربة بالمال وتخزين المواد لرفع الأسعار وغيرها من آلاف الخطايا الناتجة من الطمع والجشع والقسوة وتقليد المنتجات بمواد رخيصة والأضرار التي تنتج من ذلك. كل هذه نواتج حب المال والغِنَى بأقصر الطرق، وهذه هي الذنوب التي يصعب غفرانها. أما الخطايا المطلوب غفرانها فهي: السهو في أداء الواجبات نحو الله من صلاة وصوم، والتواني والكسل في أداء الصلاة، والتفريط في قوانين الصلاة وحضور الكنيسة، واستخدام المكر والكذب في معاملة الآخرين، والتفريق بين المتساوين في الحقوق، وعدم أداء الواجبات نحو الآخرين خصوصاً الفقراء والضعفاء والمرضى، وكسر قوانين البيعة المقدسة - أي الكنيسة - في الصلوات أو الواجبات نحو الآخرين. هذه هي الذنوب التي يقف الكاهن وهو يصلِّي على الموتى في أوشية الراقدين طالباً غفرانها لهم حسب الوصية أن "اغفر لنا ذنوبنا". ورحمة

الله ممنوعة عن العَمْد في إيذاء الناس وظلمهم، فالله يكره الظالم جداً وليس عنده مغفرة له إطلاقاً ما لم يردّ ما ظلم به (مَثَل زكّا العشّار – لو ١٩: ١–١٠)؛ وفي المقابل، فرحمة الله واسعة جداً ومتساهلة جداً على الضعفاء والمتواضعين والرحومين وعاملي الخير للفقير والمحتاج، وكل مَن يُعطي لقمة لجائع وكوب ماء لعطشان، حسب وصية المسيح الرب.

"كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا":

فالقول: «اغفروا يُغفر لكم» (لو ٦: ٣٧)، مساهلة من الله لمغفرة الذنوب بواسطة المغفرة نحو الآخرين. فمغفرة الخطايا وتعدِّيات الآخرين علينا، تُحسب في صفِّنا، لأن الله في المقابل يُعطي بالكيل الفائض رحمةً وغفراناً.

وغفراننا لذنوب الآخرين من نحونا هو أسهل الطرق لمغفرة ذنوبنا، فالله كان في هذه الوصية متساهلاً جداً ولطيفاً. أما الذي يُقاضي ويُحاكم الذين يتعدُّون عليه فهو مُطالَبٌ بما يتعدَّى به هو من نحو الله. والله في هذه الوصية يُعطي الدرس للإنسان لكي يكون رحوماً على الآخرين حتى يجد رحمةً لدى الله؛ وبتساهله من جهة تعدِّيات الآخرين عليه، يجد مساهلة من الله من جهة تعدِّياته هو على حقوق الله والغير. والذين يتقنون هذه الوصية يعيشون في سلام ولا يدخل بينهم العدو، وتسير حياتهم في هدوء وسلام. فهي وصية للفرد والجماعة والرؤساء. وطوبى لمن يتبع وصايا الله، فإنه يسير في طريق الحياة الأبدية الذي يحفُّه السلام من كل جهة؛ أما المشاكسون والمطالبون بعقاب المذنبين

بينما هم في ملء التعدِّي والظلم وعدم التفريط من حقوقهم لدى الغير، فآخرتهم محاكمة شاقة حيث يُطالَبون بهفوات ذنوبهم.

"ولا تُدخِلنا في تجربة":

العدو له سلطان للإضرار بنا وبأولادنا وكل ما هو لنا، ولا وسيلة من الخروج من دائرة سلطان العدو إلاَّ الطِّلْبة الدائمة والسؤال بتوسُّل في كل صلاة أنْ لا يُدخِلنا الله تحت سلطان العدو وإيذائه.

والرب جعل هذه الوصية حارسة لنا من كل تعدِّيات الشيطان بلا سبب. أما الذي يهمل الصلاة وطلب الرحمة وأنْ لا يُدخِلنا تحت سلطان العدو، فهو يُسهِّل للشيطان عمله ضدنا ويجعل للشيطان فعلاً سلطاناً علينا. الله وحده هو القادر على ضبط القوة الشريرة المعادية لنا، فلا مناص من الصلاة بتواتر صباحاً ومساءً بطلب رحمة الله والخروج من سلطان العدو. والعدو ليس له سلطان على مَن يوجد واقفاً يُصلِّي لله متواتراً صباحاً ومساءً؛ بل يرتعب من الذي يتمسَّك باسم الله القدوس وينتهر الشيطان باسم الرب.

والله لا يسمع صلاة المتكبرين والظالمين والمعتدِّين بذواتهم وقدراتهم وسلطانهم ويتركهم فريسة للعدو، فيصرخون ولا يُسمع لهم. فالكبرياء بابٌ مفتوح للشيطان، لكي يدخل بيتك ويُخرِّب وليس من رادع.

كذلك الظالم الذي يُمارس صَنْعة العدو، إذا ما قبلها إنسان على نفسه أن يكون ظالماً غير رحيم على إخوته أو على الضعفاء؛ فإنه

يؤاخي الشيطان ويُحاكيه ويُعطي للعدو فرصة للتنكيل به، ويصرخ إلى الله ولا يُسمع له!

كذلك كل مَن استهان بالعفة والقداسة التي هي صفات لازمة لأولاد الله، وقد شدَّد الله أن نكون قديسين أطهاراً حتى يمكن أن تحلَّ علينا قداسة الله ورحمته وحبه. أما الذي يجري وراء شهواته ويزني بلا حياء ولا خوف من الله، فإنه يصرخ من سلطان الشيطان الذي يجور عليه ويخطف عفته ونصيبه من رحمة الله، ولا مغيث. وكل ما هو خارجٌ عن واجبات العفة والحياء هو زنا. فإما عفة، وإما زنا، وليس وسط؛ لأن شيطان الزنا يترصَّد بالإنسان منذ صباه وشبابه ويصيبه بسهامه. فالعفة والحياء صفة تبدأ من الطفولة، وتقوى وتغلب في الشباب، وتنال التاج في الكِبَر. وسيَّان إن كان الإنسان رجلاً أو امرأة، فالزنا مشتركٌ بينهما ويفترس الواحد والآخر. هذا الذنب لا يُغفر إن كان عن عَمْد وعن إصرار وتمادي، ولكن الله رحوم على الضعفاء والمطغي عليهم والذين وقعوا فريسة للعدو منذ الصبا أو الشباب. فالعودة إلى العفة حاضرة بقوة ورحمة الله، وليس عند الرب مستحيل حتى إلى القبر. وطوبى للإنسان الذي لا يمسك على الآخرين زلاَّتهم وهفواتهم وتعدِّياتهم، لأنه يكون قريباً من رحمة الله.

"لكن نجنا من (العدو) الشرير":

لسان حالنا كلسان حال بولس الرسول وهو يقول: «الذي نجَّانا من موتٍ مثل هذا، وهو يُنجِّي. الذي لنا رجاء فيه أنه سيُنجِّي أيضاً فيما بعد» (٢كو ١: ١٠)، لأن التجربة والخطية محيطة بنا من كل

ناحية، في النوم وفي الصحو، في البيت وفي الشارع، في ركوب العربات وفي العمل، ولا مناص من التجربة إلاَّ بأن يُنجينا الله. فلا يُسعفنا ذكاؤنا ولا دواء ولا طبيب ولا أخ ولا أب ولا صديق، لكن الله وحده هو الذي يُنجينا، ولا نجاة بغير الله، لأن عدونا جبَّار عنيد وهو قوة عقلية جبَّارة يصطاد أذكى الناس ويُوقِع في حبائله أقوى وأعتى الرجال. التجربة من كل جهة أقوى منا وأشد عنفاً من أية قوة كانت. فالشيطان أوقع أبانا آدم وامرأته وهما داخل الجنة وفي حضرة الله، والله يعرف ذلك ويسبق ويُنبِّه ويُعطي الوصية حتى لا يتركنا في شِباك الشيطان. وها هو المسيح يضع في فمنا صلاة النجاة من العدو حتى تكون سلاحنا الوحيد الأقوى من قوة الشيطان وكل حِيَلِه. فمَنْ تسلح بالصراخ إلىٍ الله في صلاته أن يُنجِّيه من الشرير وكان صادقاً في صراخه، فهو حتماً سينجى.

عجيبٌ أن تكون قوة الشيطان وذكاؤه بهذه الفظاعة حتى أن الإنسان لا يكون أمامه إلاَّ قشَّة تذريها الريح، ولكن هذا العدو يُغلَب بالصراخ إلى الله وطلب النجاة.

نعم، نحن مُحاطون بالتجارب في كل وقت وفي كل لحظة، أينما كنا ومهما كان ذكاؤنا وقوة بصيرتنا؛ ولكن الله أحاطنا أيضاً بملائكة أعوان كما أحاط أليشع النبي أمام جيوش السوريين (الأراميين) (٢مل ٦: ١٦و١٧). فالذين معنا أكثر من الذين علينا، والذين معنا يُدبِّرهم القدوس رب القوات. فمَن تسلَّح بصلاة: "أبانا الذي في السموات" في كل حين، وكان في فمه النداء بالنجاة من العدو الشرير؛ كان في أمانٍ

كطفل رضيع في حضن أُمه. فطريق الله صعب وكله عثرات ومقاومات واضطهادات ومظالم من الرؤساء والمرؤوسين والآباء والإخوة؛ ولكن الله فوق رؤوسنا يمسك بيدنا ويُرينا الطريق ويهدينا إلى الميناء سالمين.

فإن كان القدوس قد فتح لنا طريقاً حديثاً إلى السماء بدم ابنه، فهل يعجز أن يمسك بيدنا ويقودنا في طريق العبادة والصلاة إلى الميناء الأخير أي السماء؟

"بالمسيح يسوع ربنا":

المسيح هو الذي أملانا هذه الصلاة: "أبانا الذي"، وتركنا في حضن الكنيسة التي هي جسده ملء كل نعمة وبركة لكي تضيف على صلاته التي أملاها علينا: "بالمسيح يسوع ربنا". فالذي شقَّ بطن الموت وداسه برجليه، لا يتوانى عن أن يُنجِّينا حتى ولو كان الموت على قيد شبر منا. المسيح قاهر الموت وصاحب الحياة الذي هزم كراديس الظلام وظفر بهم على الصليب وداسهم تحت رجليه، هو الذي أملانا هذه الصلاة، وهو الذي قال لنا أن نصرخ نحوه: "نجنا من الشرير". فليس قوة في السماء أو على الأرض تقوى على المسيح؛ لأنه ارتفع إلى أعلى السموات، لكي يطأ أعداءه تحت رجليه، ولكي يملأ الكل نعمة وقوة وخلاصاً، كل مَن يُناديه ويُصلِّي كما أعطانا وصية أن نُصلِّي.

فالتجربة والخطية مُحيطة بنا والعدو الشرير متربِّص بنا مع كل خطوة، ولكن المسيح نجَّانا وسيُنجِّي أيضاً، لأنه قاس ضعف الإنسان بشِبْره وعرف عنف عدونا؛ لهذا سلَّم جسده على الصليب مُعرِّضاً إيَّاه

للموت لكي يكون فدية أمام الله يُنجينا من كل تجربة ويغفر لنا كل خطية، حتى صار الإنسان الضعيف أقوى من الشيطان طالما هو ماسكٌ بالمسيح، يُناديه طالباً النجاة.

ما أجملك أيها الإنسان الضعيف وما أقواك وأنت في حضن المسيح.

"لأن لك المُلْك والقوة والمجد إلى الأبد. آمين":

هذه هي الذكصولوجية الأخيرة لـ "أبانا الذي"، وهي سلاح كل مؤمن بالمسيح، فيها التمجيد لله صاحب كل قوة وسلطان. هنا تمجيد الله بأن له القوة والمجد إلى الأبد، هو السبب والعلة التي بها نُصلّي عارفين أن الذي نُصلّي إليه قوي ومجيد. فمن قوة الله نستمد قوة، ومن مجده نأخذ سلطاناً على العدو. فنحن في سِتْر العليّ نبيت ونتيقّظ مادحين مجده، الذي عَبَرَ بنا ليل العالم المظلم. وإزاء قوة العدو المهزوم، تقف قوة العليّ شامخة غالبة إلى الأبد. وإزاء حقارة العدو الشرير الذي أسقطه الله من درجته كملاك متكبر مُعاند إلى خليقة مرذولة مُحاطة بالظلمة لا يرى النور، وأفقده كل ما وهبه سابقاً فصار ساقطاً دون كل خليقة؛ إزاء هذه الحقارة يتعالى الله في مجده إلى الأبد ويدوم سلطانه إلى دهر الداهرين. آمين.

الأب متى المسكين

٣٠ نوفمبر ٢٠٠٣م / ٢٠ هاتور ١٧٢٠م

✝ هدية إلى إخوتي الرهبان في صوم الميلاد المجيد لسنة ٢٠٠٤م.

• لأول مرة في تاريخ الإنسان يُنادي الإنسان وهو على الأرض الله كآب في السماء. من أجل هذا يصرخ الشاروبيم في نبوَّة إشعياء أنَّ: «مجده ملء كل الأرض» (إش ٦: ٣). لقد صرنا ونحن بشر على الأرض داخل دائرة المجد الإلهي، وأُعطيت لنا الصلاحية والسلطان أن ننادي الله في السماء كآب. لقد زالت الفوارق التي بين الجسد والروح لَمَّا أُعطِيَ للروح أن تصرخ لتُنادي الله في السماء قائلة: "أبانا"، لأن ابن الله الوحيد صار كواحدٍ منا.

الثمن ٥٠ قرش جنيه